غَزَالاتُ الشَّكْ

(فوق ما اكتنز النرجس)

غَزَالاتُ الشَّكْ

(فوق ما اكتنز النرجس)

شعر

نصر بدوان

غزالات الشك

شعر: نصر بدوان

البريد الإلكتروني للشاعر: Badwan1@hotmail.com

لوحة الغلاف للفنان الأديب والشاعر المغربي: عزيز بو مهدي

سنة الطباعة: ٢٠١١.

عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة.

الترميز الدولي: (ISBN) 978-9933-439-15-6

جميع العمليات الفنية والطباعية تمت في:

دار مؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع

يطلب الكتاب على العنوان التالي:

دار مؤسسة رسلان

للطباعة والنشر والتوزيع

سوريا ـ دمشق ـ جرمانا

هاتف: ٥٦٢٧٠٦٠ ١١ ٠٩٦٣

تلفاكس: ٥٦٣٢٨٦٠ ١١ ٠٩٦٣

ص. ب: ٢٥٩ جرمانا

الإهداء

إلى كل المعذبين في الأرض

غزالات الشّك

إيه يا غزالات الشّك

إني امتلأت يقيناً

فحارَ بي العراف والقديس

وذاك الذي

ليس لديه يقين

ليؤمن بأن الظلال

انعكاس الحقيقة في المرايا

قد توارى خلف لا

لم يلتفت نحو إلاّ

فضاقت عليه بما رحبت

أدلج في التيه

والدرب واضحة

والشمس تملأ أفق المعاني

بشتى اللغات

نبض القلوب

ومهوى الأفئدة

فطرة قد تجلت في الحنين

فكان الركوع

على باب الجحيم

وكان السجود

على عتبات الجنان

والذي في الخفاء خفي

في تمام الوضوح

بعيداً

وأقرب من حبل الوريد

ألصق بالعين من جفنها

أسرع من طرفها

أقرب من نورها

والنور من نوره

فلتحدق بشوق

ولتسافر مليّاً

في الملكوت على معراجها

حتى امِّحاء الغياب

وهتاف الرفات على أسمائها

كأول خلق تنادى من قريب

وقد كشف الغطاء

فلا مرايا..لا ظلال

ولا شك.

ليس سوى

ما بين لا

وإلاّ

وما بعدهما

ما لم تقله القصيدة

قلبي حانة حب

ولساني نادل المقهى

يوزع خمرتي بالقسطاس

بين الغانيات نبيذاً

فأنيليني أذنيك سيدتي

واسكري !

سأغني لك أغنية

لم تخطر على البال يوماً

لن أقول :

أحبك كالمعتاد

ولن أقول :

عيناك نرجستان

لن أقول :

في شفتيك شقائق النعمان

ويا أيها القد السمهري تمهل

برفق على غصنك مِلْ

ولن أقول :

ملساء كالماء

ناعمة

كنسيم الصباح المبلل بالندى

لن أقول :

هذي الجدائل

مناديل غواية

تلتف حول روحي العاشقة

ولن أقول :

الصدر ملهى لجنوح الخيال

لن أقول :

من أجمل آيات الله

ومن معجزات التكوين

ولن أقول : أغويتني

فأنا غارق في الذهول

ولن أقول :

سلبت نفسي الطمأنينة

أو ألقيت على قلبي السلام

لن أقول :

ما قاله الشعراء من قبل

وما غناه على الناي الرعاة

ما غردته البلابل

في الفجر

وما ناح به

عند الفراق الحمام

ما أسرت به النوارس للبحر

وما همست به الأمواج للشط

ولن أقول :

يا صوتها

أغويت خرير الماء فرق

ويا خدها

أغويت خيط النور فدق

وصدعت قلبي العاشق

لن أقول ، ولن أقول

... ولن أقول

غير ما قالته القصيدة

ما لم تقله...

وما لم أقله بعد

كلمة سر

حين يجيء ملك الموت

يمد لي كفا

ويقول لي بلطف : هلم

سأقول بشيء من رجاء

أمهلني قليلا

ـ وأعلم أنك لا تستطيع ـ

فعندي سجدة

لم أسجدها بعد

وتوبة

لم أوفق إليها بعد

عليّ حقوق

وعندي ذنوب وذنوب

وكلمة سرّ

بيني وبين الله

يعرفها وأعرفها

وأخجل أن أبوح

وما زلت أبحث

عن كلام يليق

وعن دمعة صافية تكتبها

ظلّ الليل

أحاول

وضع السؤال

على قميص الريح

أقول

يا ريح سيري

بإذن من سليمان

عودي بالنبأ

يقينا

قبل رد الطرف يا ريح

فقد طال الانتظار

ولم يزل

ما خلف الكواليس

أخفى

من ظل الليل

وأنا تعب

من البحث عن ظله

ما اكتحلت عيناي

وما جاء الهدهد

يحكي

عن جثث في الطرقات

عليها غض دماء

وفي الرأس رصاصة

جثث في الماء

وفي الهواء

جثث بلا أسماء

منكَّرة

لا يتعرّفها أحد

هكذا لعبة الموت

تحت ظل الليل طاحنة

الريح صامتة

والهدهد لمَّا يتكلم

أعرفه يتألم

غصة في الحلق

ولذا فهو يوجز بالإشارة

أحد ما خلف الستارة

وأياد آثمة

ثم يومئ :

يركض الموت من ميدان لميدان

ومن حارة نحو حارة

يده حاصدة

ومناجله شتى

موت لا يشبه الموت في أي مكان

موت يجيء

تحت إبط الأذان

وطيّات الإقامة

وحينا يجيء مغلفا بالسلوفان

بدون علامة

وأخطر الموت من كان بغير علامة

بلا أثر يدل عليه الريح

بلا ضوء يدل عليه الليل

بلا لون يدل عليه الصبح..

يعريه

فهذا الموت

يلبس طاقية الإخفاء

وأسماء مستعارة

هذا الموت محترف بجدارة

لذا قد ينال وساما

أو جائزة للسلام

هكذا جرت العادة

ويا خجل الموت

من هذه العادة

ربما هو

لن يحضر الكرنفال

ولن يروق له الحفل

فهو أشرف من مرتكبيه

وممن يلصقون به التهمة

بعد التهمة

ويحلفون

أغلظ الأيمان زورا

ناي الراعي

حزين

لحن نايك أيها الراعي

لماذا تصر

على دمع الخراف...

بكاء السهول...

نشيج الحجر

لماذا تريد

من الجبل الانحناء

على صدر المساء

كقائد جيش

خانه الجيش

وحاصره الخطر

لماذا؟...

لماذا؟...

لماذا؟

ألف سؤال وسؤال

تطل مع اللحن

فتعبر

في مخيلتي الصور!

قبرات الحب

رأسي

مشتعل

قلبي

مشتعل

فليحترق

كل هذا البياض

على جمر التياعي

ولتغرد

قبرات الحب

في أوردتي

حتى

يتفتح الورد جورياً

حتما سأغويك

بخمري وشهدي

فمدي

أصابعك النحيلة

نحو وَرْدي

لأكسر

بين كفيك عنادي

وأتمم

في زرقة عينيك

وِرْدي!

سراب

عيناك

عمق السؤال الجريح بخاطري

ولجلجة الحرف

في شفتي المتعبة

أقول لظني :

احتمال الوصول مخاتل

وسراب بريق العيون

يشد العروق الظامئات

إلى شطه الدافق ملحاً

حزن

حزين يا فرحي

هذا المساء

الموسيقى تصدح

والدمعة في شفتي

الآه خارجة إلى الداخل

مبللةً بأنين القلب

وعيوني

تنظر في انكسار للقمر

الآن فقط

من شرفة الزمان أطلُّ

أقول : مرّ سريعا

قبل أن يتفتح جفن الحلم

ويرمشَ طرف قلق

في دهشة

كدهشة فاتنة

نظرتْ في المرآة

بعد عشرين عاماً

من سباتٍ

وقالت في عتاب

أيها الأبيض

يا زبد الليالي

يا عَرق الصباحات التي

ما استوقفتني طويلاً

لألقي في انتباه نظرةً

قبل فوات الأوان

الآن فقط

أحاول

لململة المبعثر

وهل في الوقت متسع

لصياغة عمر من زجاج؟

هل من خيط سحري

يلم الشظايا

كحبات مسبحة تضيء

برقة ضوءٍ

ليس يؤمن بالمستحيل؟

أومن أنه قد تجاوز

والدرب لا تقود إلى وراء

لن يدور على كعبه

ومحطته الأخيرة

أقرب من حبل الوريد

ألملم أشيائيَ الآن

على مهلٍ

على عجلٍ

ـ سيان ـ

الشرفة صارت شرنقةً

توشك أن تغلق أبوابها

وفي الريح غصن يرجف

في طمأنينةٍ

قبل سقوط الورقة

قلق الاختيار

تربص بي على مهل

كن في انتظاري

سأغمض عيني قليلاً

لا تحدق ولا تقلق

لا بد أن نلتقي

ذات وقت تعانقني

لن أقول بلهفة

فأنا لست مشتاقاً

ولكن لن أمانع

من عادتي

أن أقبل الأشياء

بهدوء المطمئن

إذ لا بديلْ

يا أيها المأمور مثلي

أطيع وأعصي

وأنت تطيع

أغبِطْكَ يا سيدي

إذ أنت في حِلّ

من قلق الاختيار

أنت ملاك

وأنا شبه نبي

ـ هكذا قلت لنفسي ـ

ما دمت أقبع في الصفاء

وأصلي

على الحالين أصلي

خاشعاً حيناً

وحينًا تفارقني السكينة.. أنسى

هكذا

أحب أن أنسى

وأنت تحب أن تتذكر

بين حينٍ وحينٍ

تراجع الأسماء

فهل تراها تناديك؟

تعطيك ضوءاً خافتاً؟

فلا نشعر أنك تدنو

حتى تصير

بين الوريد والوريد

تباغتنا

ألا نقلق؟

نوف

نهدك

لحن قيثارة الراعي

يهتز

فيسقط

دندنة في قلبي

يملأني خفّةً

أفيض على شفتيَّ توقاً نرجسياً

القاطف الوحيد

والرمان ظل

يمحو كل ظلي

العاصر الوحيد

والعناقيد

تُواطِئُ سرّي

تباذخني مخافة أصحو

مالي وللأسماء؟

وتأتينَ

مثل غيم

مفعم بالمطر

تهطلين ربيعاً

يا لعينيك

ما هذه الخضرة

ما هذا اللازورد المشرّبْ

هل أسميه فيروزاً...

أم أسميه...؟

مالي وللأسماء؟

وقد فاضت عليّ

من الحلم المخبّأ خلف الجفون

نبيذاً!

بكاء البحر

إضاءة: عندما هُجِّر الفلسطينيون من ديارهم عام ١٩٤٨، حملوا مفاتيح بيوتهم معهم، ظناً منهم أنهم سيعودون بعد أسبوع، وها قد مرت عليهم ستون سنة عجافاً، ما زالوا يحملون المفاتيح في أعناقهم، ويورثونها جيلاً لجيل. وهذه قصة أحد هذه المفاتيح.

وحين ظن بأن الوقت يدهَمُهُ

أخرج من جيبه المفتاح

شدَّ عليه

دمعت عيناه وصاح :

خذ يا ولدي المفتاحْ

أمانةَ جدّك كي أرتاحْ

قد مرّ الوقتُ... العمرُ

وأخافُ أن يزور الموتُ

فمن يحمل العبء عني سواكَ إذا متُّ

ومن يحمل من بعدي الحسرةَ

إنْ غبتُ

آه يا ولدي

ما أقسى لسعةَ هذا الجرحِ

حرقةَ هذا الملح المبثوثِ في مجرى الدّمْ

آهٍ يا ولدي

ما أثقلَ هذا الهمَّ

وقد طال البعدُ

ما اكتحلت عيناي بيافا

لا الرمل يعفِّر أقدامي

لا البحر يداعبها في لطفٍ

لا الموجُ يغنّي للروحِ

ولا النسيمُ يجيء بفوحِ الزهرْ

لا الغابة تدني بعض مفاتنها

تغُوي تفاح القلب

آه يا ولدي

كم تأخذني الذكرى... تبحر بي

يمتد بي الخطو بلا خطوٍ

من يطوي الأرض لخيل الروح

بُراقِ القلبِ

بلمحةِ عينْ؟

يا ولدي ما أصعب هذا الدَّين

وقد نبئت بأن الرمل تغير

ما عاد كما كان

وأن البحر تغيَّر ما عاد بشوشاً في الفجر كعادته

ما عاد يرحب بالصياد مسافة يلقي الشبكة

والموج تغير ما عاد يهسهس في الرمل

وخطاه اليوم ارتدت مرتبكة

ويقولون: قد رصدوا في عيون الموج دمعاً

وأن البحر كان يبكي

بل كان يجهش في البكاء

وكان ينوح بموال

هل تعرف ما قاله البحر

وهو يكفكف دمعهْ؟

هل تعرف يا ولدي

حين دق على الأبواب ذات صباح

ولم يسمع أحداً يُهلّي

فدق بعنف ـ لعلّ القاطنين نيام ـ

ودقَّ بعنف

فأيقن أن في الأمر سرا

وأنَّ وراء السِّرّ

كفٌّ خفاءْ

فأطلقَ موّالهُ البحر غنّى

وأجهشَ في الغناءْ:

هِلا هيلا

يا سُفُنْ وشْراعْ

هِلا هيلا

ما قالوا وداعْ!

هِلا هيلا

وطوّلوا لِغيابْ!

الطيبون البسطاء

تركوا قهوتهم على النار

ما لقموها الهيل

لم يسعفهم الوقت

ولم يمهلهم القتل

ووعد برجوع قريب

ستون عاماً

وما اقترب البعيد

ولا لاح في الأفق سناه

ستون عاما

ما زالت الحسرة تكبر

وما زال البحر يئن

ويجهش في الغناء!



فيا ولدي

يا من أراني في صباه

أمانةَ الأعناق إذا ما عدت يوماً

بعيداً كان

أم كان قريباً

قبل الرمل عنّي

وقبل خشب الباب والأعتابْ

واعتذر للبحر عنّي

وقل يا بحر ما دار بظني

أن يطول الغياب

وأن يخذُلَني السراب

ويُسْقَطُ في يدي

يُسقَطُ في يدَيَّ

وتوصَدُ دونكَ الأبواب

توصدُ دونيَ الأبوابُ

ويأتي ابن زانيةٍ

يساومني

على حق عودتنا

ويزعمُ أن لا مَعاد

ولا رجوع إلى أرض الوطن

آه يا ولدي

ما أكبر هذا العهر

وما أصعب هذا الزمن !

فوق ما اكتنز النرجس

ليخبرني أحدٌ

كيف تنبثق القصيدة من سراب؟

وكيف تعانق الأفلاك مداراتُها

وتنفض عنها غبار الطَّلع

لتصير شهداً خالصاً

يلامسُ الشفاه النائمات لتصحوا

على جمرٍ يغرِّدُ في الدماء

كما صهيل العاديات

على شُرُفات المساء

على وقع حوافرها في السهل

ترشق في الريح ضفائرها

فيما يشبه النزوات آن الاحتلام

بفرحةٍ عذريةٍ

يملأها شبقُ الاشتهاء

بعضُ ما قالته القصيدة

حين الحنينُ ينمِّقُ أسماءَهُ

وينقش بالحب

حالَ التباعُدِ سِفْرَ اللقاء

لصيقان والأفكار تمزجنا

فهل ذاك الذي وحدنا

مطلع في قصيدة حبٍّ؟

أم نظرةٌ تفوح

بما اكتنز النرجس؟

بل ما بعد ما اكتنز النرجس

من قراءات تعزفها الروح

لا تنقصها ولا تكملها

فهي ظالمة الاكتمال

لتقولَ فوق الذي لا يقال

وترسمَ في الجينةِ الأولى

صفةَ التجاذب

من على بعدٍ

تلقي بروعي حتما نلتقي

فلا تتعبي الروح برصد المواعيد

عند التقاء النجوم

على قوس أبراج تُرتبُ نَسغنا

حدَّ التطابق... حد الامحاء!

فأنت في ذاكرتي قبل ذاكرتي

لم ألحظ الشكل مليّاً

كان ظلاً هلامياً

له في الروح وقعٌ وتوقُ

هنالك بعض نقص في الرواية

عطش في زاوية ما

يفتش عن نبعة للارتواء

عن غيمة سوف تمطر

من غير رعد وبرق

على ضفة ماء

في طريق ما يزال سرابا

تقود إليه الخطى أرصفةٌ

لم تؤثث بعد

عذراءُ تلك الدروب التي

قد تلم الشمل المبعثر ظاهراً

والمجمع في الخفاء

غيداءُ

قالت لي الروح... حوراء

فانزويت أُرتبُ الحلمَ

على وجه غانيةٍ

قد ترد السلام

بطرف من حياء

هي أنت حتماً حين تجيء

بلحظةٍ تجمع الشمل

الُمُلَمْلَمَ قبل اللقاء

هي أنتِ حتماً

فلا تتعبي الروح برصد المواعيد

عند التقاء النجوم

توحدُ الأسماء بالأسماء

ما بعد الأقمار

أتسلق ذاكرتي

أبحث عنك

في الزوايا

يصفعني العمر الذاهب

قبل لقانا

وبعد ما نزلت

سنافر فرقتنا

فقدنا الشمس

وتاه الدليل الذي كان يأخذنا

للفرْح ويوهمنا

أننا جسدان في جسد

روحان في روح

وأن لنا

ما بعد الأقمار

وما تطرح الأرض

من زهر ونوار

وأنا لن يدركنا الحزن

وأنَّا... ؟

آه يا وعداً لم يصدق

يا حلماً خارج وعد الليل

توارى في صخب

لم يسكن

ما يزال ممدود الجناحين لحضن الغربة

وما زلنا نجدِّفُ

في بحر لجِّي

لا الزورق يقوى

ولا المجداف

من صادق الشجر المرصود لعودتنا

لكأننا رذاذ البحر

ما بلغ الشطَّ

ولم تحضنه الموجة

بعثرته الريح

ما عاد في مطر

وما يزال على الأفق مصلوباً

فإن غابت الشمس

تحنَّى بالشفق

ذاكرة بيضاء

هادئ البال ناعمه

أهش ذكراك

عن أفق مخيلتي

بقليل من الجهد

وقليل من مبالاة

سيان ابتعدت

أو اقتربت

في خلدي الآن قضية أخرى

أفضها دون تفكير

ربما يحدث العكس

في ما بعد

أما الآن

فقليلا يشغلني

صمتك اللامبرر

ربما لديك

بعض أسباب

ذنبك

أنك لا تفصحين

حاولت

قراءة ما خلف

تقطيبةِ هذا الجبين

والفراغَ الذي

يسكن عينيك

خلف

شبه دمعة مراوغة

وشفة

جد مرتجفة

هنالك شيء ما

ولكنك

لا تفصحين

وبالهروب

من الهروب

تكتفين

يحاصرك شيء ما

أحس به ولا أراه

أتوقعه؟

ربما!

هنالك

ألف احتمال واحتمال

لا وقت عندي

لفض بكارة الإحتمالات

هل أهرب؟

ربما

أنا أيضا

أهرب الآن!

أميل إلى

دعة الخدر

وأهشك

عن ذاكرتي بلطف

يا إلهي!

تعلق بنظرتي

خيط

من نظرتك المتسائلة اللائمة

إذن

لست غاضبة

بمعنى الغضب

أنظر في عينيك

مرة أخرى

ماذا أرى؟

تحملينني

وزر جرم ما؟

خطأ ما؟

كم من الأخطاء

نأتي بها دون قصد؟

أو بقصد غير مقصود!

أعود بذاكرتي الآن

هي بيضاء بيضاء

لا ظلال تشي

بشيء ما

تفسر

شيئاً ما

أحاول استفزازها

لكنها

لا تستفز

ألم أقل

قد ركنت إلى الخدر؟

الخدر اللذيذ

للمرة الأولى

تحاول أن تهرب

تذهب

في نفق التناسي

وتعض على شفة

غصت بدموع الندم

كأس الأحاديث

تدور الأحاديث

كأسا من نبيذ

تسافر في فرح عبر الطاولة

تعانق الوجوه المتعبة

تمسح عنها الكآبة

مثل كف المسيح

وتغتال

لغة الصمت القاتلة

فتكلمي

بملء الشفتين سيدتي

واسكبي كل الحنين

فكلي آذان واعية

وأبواب قلبي مشرعة

على ما قد تفضحين من الحقيقة

الحقيقة؟

هل

ستكون الحقيقة

كاملة؟

مخدع الليل!

ليذهب

هذا الليل إلى مخدعه

وحيداً... وحيداً

ولتنطفئ أقماره

قمراً بعد قمر

يسدل ستائره

فلا يبدو منه شيء

أو تنكشف له عورة

ليذهب هذا الليل

إلى مخدعه

وليتركني في عتمته

أشد رموشي

أحاول كي تتضح الرؤية

وأقول : يا رب سبحانك

فاغفر لي كلل العيون

وقلة الرؤية

فأنا ما تعمدت العمى

وما أغمضت عيوني عن آلائك

لكنه الليل أبى

إلا أن أكون بحضرته الطلسم

وتحت بردته المنسوجة

من أجنحة الغربان

وضلال الكهنة

ليس يا سيدي من باب

للخروج أو الدخول

الليل هو الخارج الداخل

سبحانك

ومعذرة مولاي

ليس لليل عليَّ من سلطان

ولست أحتاج لكي أراك إلى عيوني

ونورك

قنديل قلبي

ومصباح ليلي

وإصباح إصباحي

وحبلي إليك يقيني

وهتافات روحي إليك يا مولاي

توصلني

وتدخلني في حدائق حضرتك

فلا أُسأَل ماذا بعد؟

لا

لا قبل ولا بعد

إنه الآنَ

آنُ الآنِ يا مولاي

وآنُ كل آنٍ

في حضرتك

صفة العاشق

قلبي منتحل صفة العاشق

يجرجرني من امرأة

نحو أخرى

يغويني يفتح لي على الحسن

آلاف الكوى

لقلبي بمعطفه آلاف الجيوب

فإن قالت له امرأة

أريد قصيدة

قال هذا نصف ديوان

للشروق

وهذا نصف ديوان

للغروب

شعر يليق بهذا الجمال البهي

نثر

أو على بحر طروب

وإن قالت له امرأة

هات لي زهرة

قال هاك المروج

أغني لها أغنية

فيرقص

كل زوج بهيج

هي الأزهار تعشق

والأطيار تعشق

والرمل يعشق والبحر يعشق

ما من شيء

ليس يعشق في هذا الوجود

محبة ألقى الإله بِكُنْ

فكان ما بين كاف ونون

كان ويكون

فسبحان الذي أسرى بعبده ليلاً

وسبحان الذي

قال: "وما يسطرون"

ليس الموت

متربص

هو الموت يا بشرى

ليس الموت يا بشرى

بل زارع الموت

ولا بشرى لقاتل

متربص

من خلف الستائر يأتي

على غفلة

في أي وقت

فلا تقفي

ولا تمشي

لا تجلسي

لا تنامي

ولا تحلمي

لا تضحكي

لا تتألمي

ولا تبكي

ولا ترفعي كفيك بالدعاء

لبشرى غدٍ

فالرصاصة

بين الدعاء وبين الإجابة

فلا تتعبي

ولا تعتبي

لا تتقدمي

لا تحجمي

أو تهربي

فعلى الحالين قد صدر الأمر بالقتل

والأرض يزعمون لهم..

لشعب

من لفيف القبائل

خانني النص معذرة

من لفيف ال لا قبائل

من كل قطر ومصر

غيض وفيض

حابلا جاءوا ونابل

يشرعون حرابهم في لحمنا

وفي دمنا يعربد

سم أفعاهم

ويمزقنا

أرباعاً وأنصافاً

جدار من الحقد عازل

بشريهم

يا عروس الأحد الدامي

ولا بشرى لمن

يقتلون الورد

ويغتالون الحمائم

راجعون

العصافير

تؤثث أفراحها عند السياج

تغني : راجعون

الذين

لم يعودوا من حضن منفاهم

والذين أتوا مع موتهم

عبروا الجسر

لم ترهم عين الحارس

ما ارتابت بهم طلقة البندقية

فمروا كالنسيم خفافاً

قامت الدور تهلي بهم

شبابيكاً وأعتابا

وانحنى غصن دالية على خد رمانة

قال هل أبصرتهم؟

بهيين عادوا

حنونين عادوا

فهيئي متكأ يليق

ولا تمسحي غبار غربتهم

دعيهم يلقون الله به

فإن قيل: فيم كنتم؟

سيقولون: في كرب

وفي حرب

وجباهنا لا تخفى عليك

وتراب الأرض يشهد كم سجدنا

ورفعنا الأكف ضراعة

وصبرنا

واحتملنا ما احتمل الصبر صبراً

وعبرنا حتفنا

مرة بعد أخرى

وها قد رجعنا

حين فضت مراسيم العزاء

ولدنا من جديد

على طريق الزلزلة

وحيداً

أذهب للحلم

وحيداً

أنادي

أيها الحلم

ها إنيَ ما أزال على بابك

منذ ما تدري

أدق بصدق التائبين

أتضرع

بدمي على أعتابك

فهل تقبل

شفاعته دمي

أم تتركني

مصلوباً أنزُّ

أتعفر

أحمل خطاي

على طريق المقصلة

أيها الحلم

وحيداً أجيء

وأقول :

لي وحدي الطريق

مسرع الخطو

وفي قلبي الزلزلة

كأسُ السِّر؟!

يهبط اللحن وحيا

فيا قلب الشاعر كم تتحمَّل؟!

ويا قلب الشاعر كم تتجمَّل؟!

في هذه الفسحة من وقت هارب

تنساب اللحظة من كفيك

فاذهب في حسرة حزنك

حتى أعماق المشهد

قف وتأمَّل

يا قلب الشاعر كم تتجمَّل؟!

يا كأس السِّر

تلذَّذْ بالسَّرْ

يا كأس السر وافضح ما شئت

يا كأس السر

هذا عطش السُّمار

وماؤك عذب

فاسكب من نبعك حتى

تبتل شفاه العطشى

واعزف من لحنك حتى

تهتز الأرواح

يا هذا البلبل

يا هذا الصدّاح

اقترب الفجر

وآنَ الآنُ

أن تعزف لحنك

على أوتار شعاع الشمس

فاهمس

يا سرَّ الهمس

وجرِّح

قيثارة هذا الصمت

جرِّحْ

وليرتفع اللحن عليّاً

ليل على كتفيها

يتام الليل

على كتفيها

مثل طفل صغير

ينام الليل

تمسِّده

بكفٍ من حرير

تفرقه بأنامل

من رقة الأحلام

ينام الليل على كتفيها

كيف لا ينام

وهي تسكره

ببعض من عبير؟

ينام الليل

على كتفيها

مثل شال من حرير

مثل دوريٍّ

كلما همست

بلحنٍ

فرحاً يطير

غوايات الليل

ثمل هذا الصباح

عبق بكل غوايات الليل

مترنح

من رصيف نحو رصيف

في شوارع

لم تعربد بالناس

وجنون العربات

شوارع في انسجام مع ذاتها

كطيور الربيع تغني

أغنية

مثل رجع الصدى

في ذاكرة الحرمان

الآن فقط التقى نفسه

بعدما ألقى رداء الليل

وتعرّى

حدق في عين الشمس

تأوَّه:

فاتنتي

هل أضناك غيابي؟

هل قاسيت زمهرير البعد؟

نظرت إليه برقة ورثاء!

أو شكت أن تخبِّره

أنها أمضت الليل

في حضن نهار آخر

وأنها استمتعت بالدفء

كما هذا الصباح

كعروسٍ في شهر العسل

هو وحده كان الغائب

طيلة هذا الليل

مع هذا البرد القارس

وحده يتكور حول نفسه

كزهرة كرنب برية

يعصر ركبتيه

يلصقهما بتجاويف البطن

ويهذي:

أين ذهبت تلك اللعينة؟

لماذا أبطأت في القدوم؟

لماذا .. لماذا .. لماذا؟

ألف سؤال وسؤال

احتار قليلاً

ثم اطمأن

لحقيقة ليست مُرَّة

مهما ابتعدت!

مهما اغتربت!

مهما تعرَّت

في حضن نهار بعيد

لا بد

أن تعود ودودة

وتصليه دفئاً

الجميلات

للجميلات

دين في عنقي!

رغم الغواية

والمسكوت عنه

في لغتي

الجميلات

بوصلتي

حيناً

وحيناً نسج أخيلتي

وتيهي

بين بينٍ... وبينٍ

وحرقة البوح في شفتي

الجميلاتْ

ما الذي خبأن لي؟

ليقدنني

من مفاصل كفي

ومسعى قدمي

يدرجن بي

على طرقات

ما جئن يوما بذاكرتي

الجميلاتُ

مليكاتي ومملكتي

زهور بستاني

عطر أزمنتي

في كل زاوية عبق

من فيضهن

وذكرى

تزهر في دندنتي

وأغنيتي

مرحلة

تخرج من مرحلةٍ

إلى عمق مرحلةٍ

أصير

والجميلات

وجهاً لوجه

أمام أسئلتي

انتصارات

السماء

تعلو قليلا فوق رأسي

يا إلهي !

هل ستسقط

قبل أن يرتد طرفي؟

وأنا الذي كنت أحلم

بأفق أعلى وأرحب

أمد خطاي.. أمشي

لا ألوي على وجع

أمشي وأمشي

لا تربكني الذاكرة

يا إلهي !

تسقط الدرب منا

خطوة خطوة

نرتد على أعقابنا

هل سنبدأ من جديد

أول الخطو

وأول اللغو

وأول حرف من رصاص

نعلن ميلادنا

بعد كل انتصاراتنا الخاسرة؟

أكتب بوضوح الضوء

إهداء إلى روح الشهيد ناجي العلي،

في الذكرى العشرين لاستشهاده.

❖❖❖

... واكتب بوضوح الضوء

أنَّ موتاً ليس يرهبُنا

لأنا في الموت نحيا

وفي دمنا الشهادة مذ خلقنا

نسغها يجري في العروق امتداداً

لشرايين الوطن

فاختبرنا

أوْ لا تختبرنا

تنبيك أكفان تنام على مناكبنا

مثل القماط من الولادة حتى الشهادة

الوداع المعمَّى في شكل الوضوح لمن

في عينيه غيب صادر

عن شهوة الاحتمال الأكيد

فاختبرنا أولا تختبرنا

فعلى الجباه السمر لاءاتنا مثل صبح شديد

الوضوح

لا نعمِّي

فاقرأ باسم ربك إننا

عن صراط القدس والبحر المكبَّل

لن نحيد

واقرأ باسم ربك

"لا يفل الحديد إلا الحديد"

واقرأ باسم ربك

عزم وبأس شديد

وهل زرع الشهيدَ سوى الشهيد؟

نحر وفصح مجيد!

أتريدني أن أعيد؟

أكرر ما قيل قبل؟

أن أعيد وأن أعيد؟

أيها الأذن الأصم

ما خانت الخيلَ حوافرها

والعاديات

في حمحمات لم تزل

أتنصتُ؟... هذا النشيد:

أزليّ في شراسته الشعب العنيد

فلا تساوم في الحدود

ولا تبالغ في السدود

ماءان هما وما بينهما لنا

فخذ ما جئت به وارحل

حيث تريد

ودع القبة الغراء تسطع كالخلود

ودع بحر يافا في شواطئه

تلهو الوليدة والوليد

قلق القوافي

أنا والشعر

أغوي قوافيه لكي يجيء

فلا تنفضي من صمتي يديك

لا تقولي قاحل مثل وجه حزين

وفي عينيه فراغ الأنفاق المعتمة

ففي الروح فيض من معاني الكلام

وعلى الشفتين تنام الأغنيات

فقط حركي بأطراف الأنامل سكون الوتر

لأهمي كأجنحة السنونو ورقصات الغجر

الطيبين الذين على أرواحهم هدل الحمام

ألقت الشمس فتنتها وما تلظى من عنفوان

الجموح

فاهتزت عروق الدوالي

وصاح المغني حينما دمعت عيناك من فرح

أصير أنا وقلبي وشبابي الفائر في خطر

لا ينام الليل فيَّ ولا النهار يكفي لاجتراح الحلول

فضميني علَّني ألقى بعض السكينة

أفر من هذا الهياج المعربد في كينونتي

أُرتب ما تبقى من معانيَّ على شجر الكلام

وأهزُّ حتى يتساقط المعنى الجنيُّ على راحتيك

لذَّة سمع وانتشاء

لتذوبي قليلاً أو كثيراً في المقام

على قدر امتداد اللحن في رئة القافية

ما عدت أعشق تكسير القوافي

وما عدت أطيق جلوسهن القرفصاء على قلق

فمدي ابتهالاتك قدر المستطاع

ربما تغفين على كتف أولى أغنيات الحنين

وأغفو على كتفيك قبل جواب السؤال :

هل ينام الأحبة عند اللقاء ويصحون عند الفراق

أم أن المسائل نسبية على قدر الاشتياق؟

حبيبتي ما قلتُها مرة!

وحبيبي ما قلتِها مرة!

لكنك تعنينها في كل ثانية ونبضة

وأكررها مرات ومرات من غير كلام

مخافة أن تخدشها الحروف

ينقص من وزنها اللحن

ويجرحها صوتي الأجش

خذيها صافية وهاتي امطريني من نبع الصفاء

الآن اكتمل الجواب وقالت يدانا

يا الله ! ما قالت يدانا غير الذي كان ينقصنا

حين الاحتياج إلى الكلام

لينفذ المعنى من خلال السكون

وبعضِ شدٍّ خفيف بحنان الأصابع حين يعلو

الشعور ...

يُختصر الوجود الكل يحتضن الكل بذات

الاندهاش

أقول الآن بنشوة الارتياح

اكتمل النص والمعنى فلا تقلقي

يغنيك صمتي وصمتك عن قشور الكلام

أيها الليل

صباح الخير

في الساحة المكتظة بالوجوه

تحاصرني الوحدة

ينادمني الحزن

على ضفة القصباء

والأنوار تعري العتمة

أدخل في نفق من ضياع

أعدو بلا قدمين

ما أطوله هذا النفق !

يمتد بغير نهاية

ورهبة صمت

كرهبة المجهول حين النُّذُرُ

تحاصر الأفق الأحدب

من كل حدب وصوب

في مرآة العتمة

أحدق في اللا شيء

أيها الليل

أيها المجهول

يا سيد اللغة الطلسم

بأي اسم أناديك

كي نفتتح الحوار

وألقي عليك حملا ثقيلاً

بعضاً من همِّيَ السرمد

أتعرى أمامك صفحة بيضاءَ

كالنساك أمام الله

لا أكتم سراً

ستفيض جعبتي الحبلى فلا تقلق

سأسامرك حتى الصباح

وحتى النواح

وأصب في أذنيك الشعر والشكوى

أناديك بأحلى الأسماء

وأحب الألقاب إليك

سأدهشك يا سيدي الليل

يا صديقي

يا آيتي الواضحة

ويا ساعة التجلي

فهل تبصر أيها الليل

هل تبصرها هذي الغزالة الشاردة

أي تيه في عينيها

أي ذعر في قدميها

الغزالة ذات الجيد الممدود

الغزالة ذات الأعين السود

والقد الممشوق

بماذا ينذر هذا القد؟

أي عاصفة تملأ الروح ضلالاً

وسؤالاً يجيب سؤالاً

أيها الليل يا حافظ الأسرار

إياك أن تفشي السر

أو تقرأ في كتاب الطهر

المعلق بين عينيها

كما فلق الصبح

يشف كما تشف الروح

تبرق في نظرة

وتطل من ثنايا سحابة

تخبئ تحت عباءتها الشمس

فلا تفتح كتاب الهمس

ولا تقرأ كتاب القد المتناغم

مع وحشته في الليل الساجي

أيها الليل

يا نديم الليل

ويا نديمي

هل تبصره هذا الطفل؟

هل تسمع ضحكته؟

هل ترى زلاجته الجامحة؟

هل تحس روحه الطامحة؟

وبكاءَ غده؟

هل قلتُ بكاءَ غده!

هل استقرأت المجهول؟

هل ضربت بتخت الرمل

فانشق عن وجه

كان طفلا فأينع

اشتد استوى على ضفة النفي والمنفي؟

لا تقل شيئا أيها الليل

لا تقل

فقط أَصِخ السمع ولا تعجل

صدري بما أنبيك مثقل

وأنت نديمي

وحقي عليك

راحتي بكائي بين يديك

فتأمل شاعراً

ينادمك الآن ويصطفيك

يا نديم الشعراء

يا صفيَّ السهارى

كن صفيي الليلة ثم ارحل

كما شئت ارحل وخذ بوحي معك

خذ وحدتي وعذابي وارحل

أتسمع أيها الليل؟

هل تسمع هذا اللحن؟

هل يسكرك كما يسكرني الآن؟

هل تغمض عينيك مثلي وتصلي؟

تهرب من نظرات النادلة؟

وهي تذهب خلف الاحتمالات

تخمن ماذا أخط

هل أنبأها أحد

أنك تجلس في الكرسي المقابل؟

تقاسمني الطاولة

وتحدق فيَّ بشيء من فضول

تركض خلف السواد الهاطل

فوق بياض الصفحة

يتهادى

"مثل السحابة لا ريث ولا عجل"

أنا الآن يا سيدي

مطر من حروف

أتقطر حبات ندى في راحتيك

تلتقطني زهور الصباح

أنام على ثغرها حتى السكر

وأصحو أجدني وحيداً

أمامي كرسي فارغ

يحدق فيَّ بملء السؤال العصي الجواب

أتبسم.. ألقي التحية

أيها الليل

يا نديمي

صباح الخير

سدرة الليل

ذات مساء

أويت إلى سدرة الليل

وكان البحر في رحلة صمت

على الشط ملقى بغير حراك

لا هسهسات لموج ولا السطح مرتج

سكون عجيب

كأن على رأسه الطير

نورسٌ ساهمٌ

مثلَ ظل الظهيرة

غير مرتقب زوالاً

وقفت ساعة الوقت

لم يبرح يراوح

في ثانية بين ثانيتين

لا ماضيَ..لا مستقبل

هي اللحظة مثلما نُزّلَتْ

وقفت على كعبها

تنتظر العبور للحظة أخرى

القيد في الساقين

مشدوداً لأعمدة السكون

أيها البحر

أيها الليل

سئمت السكون

سئمت انتباهيَ كاملاً

مترقبا طرفة عين

رفة رمش

كما الموقوف

يحدق في شفة القاضي على فرق

مخافة أن يدان

وحيداً وقد غص المكان

وحيداً وقد سكن الزمان

أوى إلى حضن المكان

يا لدهشة روحي حينَ انتبهتُ

ولا بحر

لا نوارس

لا سفن ولا شط

ما من أحد

على الدوّار البعيد سواي

ونورسةً يغازلها نورسُ

الوقت يدور يدور

الريح تلهو في جدائل نخلةٍ عذراءَ

لم يمسسها ذكر الطلع

وما حط على ترائبها غبار

جِدٌّ صغيرةٌ تعطي نصف ظلٍّ

يحنو علي ويمنحني بعضاً من حنان

طعم الغواية

في وسط السماء الشاسعة

السماءِ المبللةِ بالندى

المغسولةِ بالضوء

أبطأ البدر سيره

تهادى

تدلى في اشتهاء

نحو غزالة ترفع رأسها

امرأة

في أوج توهجها

ترفع عينيها إلى السماء

تحدق في هالة البدر

وفي كفيها رجاء

امرأةٌ أذهلت الساريَ عن نفسه

فتدلى

وأذهلت المغني

فامتلأ الغناء خفوتاً.. همساً

المغني يحدق

يا الله ما طعم الغواية

حينما تحدق أنثى امتلأت نساءً

حد الفيضان

يا الله لو كان البدر ملاكاً

أو كان جنياً

لطار منحدراً نحو التلال

وتحت الظلال

أطال انحناءً

يا الله كيف ارتج

وجه القمر المتدلي

تشقق عن دمع ملءِ السماء

فاض على الكفين بللها

حد التصاق الثوب

بالجسد النابض بالدعاء

يا الله

حينما تجيب السماء الدعاء

وتمطر قلبي

باحتفاءات ثوب شديد الالتصاق!

ن. ص. ر

(حتى الثمالة)

من كأس فارغة

أشرب حتى الثمالة

حتى انطفاء الضوء

في عتمة الضباب

حتى الغياب

ورحيل الأمنيات

في طيات السراب

كفاي فارغتان

لا تقبضان على شيء

فارغتان

إلا من الوهم

الذي أسميه حلماً

هل كان لي ذات يوم إسماً

وتبعثرت أحرفه مثل هباء؟

فلا النون نون

ولا الصاد صاد

ولا الراء

في أول الرايات

لنصر مل الإنكفاء

خطوةً خطوةً نحو الوراء!

الآن؟

يوم... يومان

توشك أن ترحل امرأةٌ

في البال أخبئها

وأدللها... سراً أدللها

فهل تدري امرأة أنّي

سراً أدللها؟

وماذا لو تناهى لها هذا العلم؟

ماذا لو أبصرت

علامات على السهم

ومرت أناملها

لتستطلعه دمي؟

هل يا ترى

يحرّقها... يمزّقها... يشوّقها

أم يا ترى تغفو

على حلم يؤرّقها؟

ماذا لو أن امرأة

سترحل بعد يومين التفتت وقالت:

أشواقنا خلف الأبواب

كم ظلت ساهرةً

والآنَ

الآنَ! جئت تطرقها؟

مقهى

ساعة

فائضة من وقت

أريقها

على طاولة قابعة

في ركن

قصي من مقهى

مقهى

تعودني... تعودته

أدمنني... أدمنته

بل ربما

في الحقيقة أحببته

رغم

بلادة

حس النادل

وارتباك

عيون النادلة

إدمان!

هل أدمنتكِ؟

ومشيت في درب الحنين

على وقع أنجمكِ الشاردة؟

كلّما غذذتُ الخطى تجفلين

فأعود إلى ذاكرتي

وأقول هذا دربها

نمنماتُ حناء القدمين

وقلبي في الأثر

دوائرُ فتنة مبثوثة

وكل ما فيّ مصغ

في انتباه المغني

حين يلهو بالوتر

عبق يهاديني النسيم شذاه

ألق من كهف ذاكرتي يجيء

من لا وعي وعيي

ويسكن في العيون

ساهماً أحاوره على قلق

خائفا أن يرمش الجفن

فيهتز مبتعداً

ويعود منكفئاً

يغلق أبواب الذاكرة

يشاطرني الحنين الفضاء

يشاطرني المدى

وعيون تطل على ساحة الحلم

طالما شاركتني انتباهي

لنداء العيون التي رقّت

كأن الدمع يركض في الأثر

سلام وسلم لقلبي أقول

يقول: حرب

وحرب علي الرحيل

ووقع الخطى المبتعدات

ورجفات الشفاه التي

خانها الحزن

فهل أومأت قليلاً

وهل رقصت أصابع كفها الخجلى

أو الوجلى

من عيون يسكنها التلصص

والريبة القاتلة؟

عطر الغواية

ونثرت عطرك في الدروب

مشى الورد خلفك والسؤال

والريح تدندن لحنها

تتمايلين

يطير الليل خلفك

مثل شال

وأهمس في السر:

هل ثم من فتنة أبقيتها للغواني؟

تقرئين خواطري..

تتبسمين :

أنا أصل الغواية

مرّ هاروت وماروت على حانتي

فلا تأثم

سبق السيف سيدتي

وما أدركت أني

أغذ الخطى

خلف السراب الجميل

أمد كفيَّ

تعود إلي خاوية

وينمو العطر في ذاكرتي

جسداً تأنق حد الجنون

أمد كفّيّ ثانية

أشد على جمجمتي

أصيح :

حتى متى تهربين؟

أضحك من نفسي مليّاً

وأتهم الخيال

علِّمني العشق

علِّمني العشق

لم أعشق بعد

جرَّبتُ كثيراً جرَّبتُ

لا أزعمه عشقاً

ربما هو الحب

يعلو ثم يهبط

يهبط ثم يعلو

وأقول : كنت أحب

فهلا علَّمتني العشق يا رب

أما من جذوة لا تنطفي

كي يستريح القلب

أما من حريق ليس يخبو

كجواد الريح

كلما هبت يهب؟

نكهة أخرى

شاي بالزنجبيل

يخدش حنجرتي

ثم يرطبها

يصير الصوت أنقى

تقولين :

صوتك اليوم نقي كالسماء !

صوتك اليوم

لم يعد فيه ماء

فأعد أغنية الأمس همسا

أشتاق جداول الدفء تغسلني من ضجري

أشتاق ألمس أقداري بصوتك

حين يأتي من القلب

معطراً بالزنجبيل

ونكهةٍ أخرى

عليها أعوِّل أكثر

أنا والماغوط والغجر

الليلة

لن أخرج للشارع

لن أقابل

أيا من الأصدقاء القدامى

ولن أذهب للعمل

الليلة

سأتسكع مع الماغوط حتى الصباح

أنا والماغوط والغجر

أنا والماغوط والغجر والفالس

أنا والماغوط والغجر والفالس والتبغ

أنا والماغوط والغجر سنستعير

جذوة من سماء بعيدة

بعيدة قرب كف الله

نشعل منها أرواحنا ونصيح

أنا والماغوط والغجر سنصيح :

لنا الليل

والسماء

والنجوم

والنيازك التي

سنرجم بها الطاغوت

أنا والغجر والماغوط

سنرجم الطاغوت

ماذا لو؟

السمراوات عبرن الشارع

في صخب عبرن... هززن الصمت

علا نبض المغني

عاوده الشعر وكان استعصى

إذ أغواه القد المهتز كجان

السمراوات حدائق مرجان وبيادر قهوة

السمراوات جنون الشهوة حين يفور النهد

على حين من زمن يجترح المعجز

يلقي جمرته في ساكنات الخلايا

كبذرة شيطان مارد

السمراوات هطول واعد

ونادلة المقهى ترقب في صمت

تغدو جزءاً من عبث الوقت

حين تمرر نظرتها من عين خجلى

ويند عن الشفة الوجلى طيف ابتسامة

نادلة المقهى تسقي الورد

على مهل تسقي الورد

وتسرق بعض الوقت

تخطو إذ تخطو وتميل

على لحن أغنية مهجنة الإيقاع

نادلة المقهى تنساق مع اللحن فتنسى

وتحرر ما خبأ الليل على قمة الحلمات

يا هذا الشاعر ماذا

لو مرَّت شفتاك مرور المشتاق

ولَّمت ما نام على شفتيها من خمر تعتق

واصطفتك لنفسها ؟

بوح

وتدفن في الصدر آهاتك المتعبات

يغالبك البوح عند حلول الظلام

تغريك القناديل والورق الملون

أن تقول

تخط على الصفحات

كل المخبأ خلف الحنايا

يعربد في مكمن الذات...

يجيش مع النهدة الأولى

وفي حيرة النظرات

هل أنت... أنت؟

أم الذي فيك مختلف

أم توزعت ما بين هذا وذاك؟

قل لي بربك ماذا عراك؟!

لتحلم... تحلم... تحلم!

ثم ماذا بعد...؟

ماذا بعد...؟

ماذا بعد...؟

ربما

ربما تشاء السماء

فتعطينا على نيّاّتنا

وجعاً أكثر

ولكن الله رحيم

ربما يؤجلنا

إلى وجع أكبر

أو ربما

ينفث في النوايا

فنصير أطهر !

المؤلف

- نصر محمود علي بدوان.
- مواليد عزون / لواء طولكرم.
- بكالوريوس اقتصاد وتجارة / الجامعة الأردنية.

صدر له:

- بارودة أبي.. جدائل أمي، مركز الحضارة العربية، ٢٠٠٥.
- نكوص الغمام، مركز الحضارة العربية، ٢٠٠٦.
- سجادة الولي، مركز الحضارة العربية، ٢٠٠٧.

له عدة مجموعات شعرية مخطوطة.

الفهرس